(رب)

كلمة حائرة فى أفواه النحاة

بقلم الدكتور / أحمد محمد السعيد نافع
مدرس اللغويات فى الكلية

سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

شاء الله تعالى أن تتباين الألسنة ، وتختلف الآراء وهذه حكمة إلهية عظيمة لا يدرك أسرارها إلا خالقها قال تعالى «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين» .

العلوم على إختلاف أنواعها هى مثار البحث والمناقشة ، فعلوم الشريعة اختلف فى أحكامها الفقهاء ، وعلوم الكلام اختلف فيها المتكلمون وعلوم العربية التى ظهر فيها الخلاف فى الرأى واضحا كل له مذهب وكل له رأى يدافع عنه مؤيدا بالبراهين والأدلة الدافعة هذا يرجع وذاك يضعف ، وآخر يقند ، ورابع يستصوب وهكذا .

والنحو أحد فروع هذه العلوم ، فيه مذاهب متشعبة ، وآراء متعددة ، ونظرة سريعة إلى كل المؤلفات النحوية المتداولة بين أيدينا تستطيع أن تحكم بأن الخلافات النحوية كانت قائمة ، وعلى أشدها و وما زالت مستمرة ، وقد أدت هذه الاختلافات إلى أن هناك بعض الكلمات حارت بينهم ولم تجتمع كلمتهم فيها على رأى واحد .

ومن هذه الكلمات (رب) وإستعمالاتها فى العربية ، فقد تعددت فيها الآراء ، وإختلفت فيها المذاهب من عدة أمور ، فليس من بين الكلمات العربية ما يشبه هذه الكلمة فى تعدد الآراء فيها وإضطراب المذاهب اللغوية والنحوية فى أحكامها ونواحيها .

اختلف العلماء فى معناها ، وفى ناحية حرفيتها أو اسميتها وفى زيادتها واستعمالاتها ، وفى تعلقها بالفعل أو عدم تعلقها ، ونوع الفعل الذى يقع بعدها . والجملة التى يوصف بها مجرورها وفى حذفها وإبقاء عملها بعد الحذف إلى غير ذلك من تعدد الآراء ، واختلاف المذاهب التى احتوت هذه الكلمة .

وكان لهذا الخلاف أثر فى الحديث والقديم منها : أنك قد تحكم على بعض الأساليب بالخطأ عند فريق ، وبالصحة عند آخر ، وبالقبول بعد التأول والتقدير عند ثالث .. وهكذا .

ونتناول — الآن — الجوانب المتعددة حول هذه الكلمة لنستجلى الآراء التى كتبت فيها .

حول حقيقة هذه الكلمة :

بحث النحويون حقيقة هذه الكلمة ، واختلفوا بين فريقين كل فريق له رأى يدافع عنه ، ويحمل معه من الأدلة ما يقوى مذهبه .

أما الفريق الأول : — فهم أكثر البصريين — وعلى رأسهم سيبويه ، ويرى هذا الفريق أن (رب) حرف من حروف الجر شأنها فى ذلك شأن حروف الجر ، وقد صرح سيبويه بهذا فقال عندما تحدث عن (كم الخبرية): « إلا أن كم اسم ورب غير اسم بمنزلة (من)(١) « بكسر الميم » ، ومن بعده المبرد يقول :

«فأما كم التى تقع خبرا فمعناها معنى رب ، إلا أنها اسم ورب

---

(١) سيبويه ٢ /٢٣٩

حرف(١)، ونفس المعنى ردده ابن السراج فقال : « رب حرف جر وكان حقه أن يكون بعد الفعل موصلا إلى المفعول(٢)، ويقول ابن يعيش فى شرحه على المفصل « رب حرف من حروف الخفض(٣) » وقد نص على هذا ابن هشام فى المغنى ١/١٣٤ ، والمرادى فى الجنى الدانى ٤٣٩

ولأصحاب هذا الرأى أدلة ساقوها لترجح ما ذهبوا إليه منها .

١ — أن هذه الكلمة لا يخبر عنها كما يخبر عن الأسماء ، فأنت تقول: محمد أفضل منك على أن أفضل منك خبر لمحمد ، ولا تقول : رب رجل أفضل منك على أن أفضل خبرا لرب ، صرح بهذا ابن السراج(٤) فقال : «ولا يجوز أن تقول رب رجل أفضل منك لا يجوز أن تجعله خبرا لرب» وابن يعيش يقول بهذا ، أيضاً جاء فى شرح المفصل(٥) : « لا تقول رب رجلى أفضل منك على أن تجعل أفضل خبرا لرب كما يكون خبرا لكم ، وبانتفاء الأسمية عنها لا يخبر عنها كما لا يخبر بها .

٢ — الحرف — عند النحويين — هو الكلمة التى لا يظهر لها معنى إلا مع غيرها من الكلام أى أن معناه لا يظهر إلا بانضمامه إلى كلام آخر ، وهكذا — أيضاً — شأن (رب) معناها فى غيرها ، فليس لها معنى مستقل بنفسه ، فقد ساوت هذه الكلمة الحروف فى الدلالة على معنى غير مفهوم جنسه بلفظه فكما أنك تقول : خرجت من المكلية فقد دلت (من) على

---

(١) المقتضب ٣/٦٧ (٢) الأصول ١/٤١٦

(٣) شرح المفصل ٨/٢٦ (٤) الأصول ١/٤١٧

(٥) ٨/٢٦

أن الكلية إبتداء غاية الخروج ، فكذلك إذا قلت : رب رجل يقول ، فقد دلت (رب) على معنى التقليل فى الرجل الذى يقول ذلك .

٣ — من العلامات التى يتميز بها الاسم عن غيره من الكلمات أنه يجر بالحرف أو الإضافة أو التبعية ولم يذكر أحد من النحويين أنها تجر كما تجر الأسماء — جاء فى كتاب الأصول لابن السراج(١) : ومما يتبين أن رب حرف وليست باسم ككم أن كم يدخل عليها حرف الجر ولا يدخل على رب «وجاء فى الهمع» : «ولو كانت اسما لجاز أن يتعدى إليها الفعل بحرف جر فيقال : يرب عالم مررت ، وأن يعود عليها ضمير ، وأن يضاف إليها ، وجميع علامات الأسمية منتفية عنها(٢)» .

٤ — أنها توصل معانى الفعل إلى ما بعدها ، إيصال غيرها من الحروف الجارة تقول : رب رجل عالم أدركت ، فرب أوصلت معنى الإدراك إلى الرجل ، كما توصل الباء الزائدة معنى المجرور إلى خالد حين تقول : مررت بخالد ، وقد نص على هذا سيبويه فقال : «وإذا قلت فيك خصلة سوء ، فقد أضفت إليه الرداءة بفى ، وإذا قلت رب رجل يقول ذاك . فقد أضفت القول إلى الرجل برب(٣)» .

٤ — لا يجوز الفصل بينها وبين مجرورها .. قال السيوطى : «ومن الدليل على أنها حرف لا اسم ، أنهم لم يفصلوا بينها وبين مجرورها ، كما فصلوا بين كم ، وبين ما تعمل فيه(٤) «وعلى ضوء هذا حكم عليها أصحاب هذا المذهب بأنها حرف جر شبيه بالزائد تجر ما بعدها شأنها فى ذلك شأن حروف الجر :

---

(١) ١/٤١٦ (٢) ٢/٢٥

(٣) الكتاب ١/٤٢١ (٤) الهمع ٢/٢٥

أما الفريق الثانى : فهم الكوفيون ، ومعهم من البصريين — أبو الحسن الأخفش — وأيده الرضى ويحكم هذا الفريق عليها بالأسمية — قياسا على (كم) الخبرية وتضاف إلى ما بعدها ، ويخبر عنها — قال ابن يعيش : « وقد ذهب الكسائى ومن تابعه من الكوفيين إلى أنها اسم مثل كم(١) » .

وقال المرادى : « وذهب الكوفيون والأخفش — فى أحد قوليه — إلى أنها اسم يحكم على موضعه بالإعراب »(٢) .

ويقوى الرضى هذا الرأى فيقول : « ويقوى عندى مذهب الأخفش والكوفيين أعنى كونها اسما ، فرب مضاف إلى النكرة ، فمعنى رب رجل فى أصل الوضع قليل من هـــذا الجنس كما أن معنى (كم رجل فى أصل الوضع قليل من هذا الجنس كما أن معنى (كم رجل) كثير من هذا الجنس »(٣) .

وقد حمل هذا الفريق ما معه من الأدلة ما يقوى رأيه منها .

أولا : حكموا عن بعض العرب أنهم يقولون : رب عالم تقى ، برفع تقى على أنه خبر عن (رب) فقد أخبر عنها كما يخبر عن الأسماء .

قال ابن السراج : « وحكى عن الكسائى وغيره من القدماء ، أن بعض العرب يقول : رب رجل طريف فترفع ظريفا تجعله خبرا لرب ، ومن فعل هذا فقد جعلها اسما »(٤) .

---

(١) شرح المفصل ٨/٣٧ (٢) الجنى الدانى ٤٣٩

(٣) شرح الكافية للرضى ٢/٣٣١

(٤) الأصول ١ /٤١٧

وعلى ضوء هذا أعربوها مبتدأ مخبر عنه فى قول الشاعر :

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن
عارا عليـك ورب قتل عار(١)

فرب مبتدأ ، وعار خبره .

ولعل أبا الحسن الأخفش القائل باسميتها هو الذى أفاد بهذا القول ، كما نص على ذلك الرضى فى شرحه على الكافية(٢) إذ يقول « واستشهد الأخفش على اسمية رب بقوله :

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن
. . . . . .

وقال : رب مبتدأ وعار خبره .

ثانياً : قاسوها على كم الخبرية المتفق على اسميتها ، وقالوا بأنها مثلها ، وأن مدلولها اسم وما كان مدلوله اسما ، فهو اسم ، فمعنى كم عالم وجدت كثير من هـذا الجنس ومعنى رب عالم وجدت ، قليل من هـذا الجنس ، (فكم) أفادت معنى الكثرة كما أن (رب) أفادت معنى القلة ، فكم بمعنى كثير ، ورب بمعنى قليل — قال الرضى مشيراً إلى هذا « فمعنى رب رجل فى أصل الوضع قليل من هذا الجنس ، كما أن معنى كم رجل كثير من هـذا الجنس »(٣) وقد صرح السيوطى بما قاله الرضى فى الهمع ٢/٢٥

---

(١) قاله ثابت بن قطنة رثا به يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، وقد استدل الكوفيون والأخفش بهذا البيت على أسميه رب ، وأعربوها مبتدأ وعار خبره ، وقد نقل ابن السيد فيما كتبه على الكامل قول المبرد : وهكذا أنشده النحويون « ورب قتل عار » على أضمار هو عار ، وانظره فى المغنى ١٣٤ ، والمقتضب ٣/٦٦ ، والأغانى ١٤/٣٧٩ ، والهمع ٢/٢٥

(٢) ٢/٣٣١ (٣) شرح الكافية ٢/٣٣١

ثالثا : أنها لا تقع بين تضاعيف الجملة ، وإنما يجب لها أن تتصدر فى أول الكلام أما حروف الجر فلا تقع إلا فى أثناء الكلام ، لأنها تكون موصلة معانى الأفعال إلى الأسماء .

كما أنه قد يدخلها الحذف .

رابعا : أنها لا تعمل إلا فى نكرة وحروف الجر تعمل فى النكرة والمعرفة — فأنت تقول :

رب عالم وجدت ، ولا تقول رب العالم وجدت .

ومن أبرز النحويين الذين تناولو هذه المسألة بالتفصيل ابن يعيش فى شرحه على المفصل والمرادى فى حروف المعانى — والرضى فى شرحه على الكافية .

أى الرأيين أرجح ؟ ..

من خلال هذا العرض الموجز لكلا الرأيين نرى أن ما ذهب إليه الفريق الأول وهم البصريون أرجح مما ذهب إليه الفريق الثانى — وهم الكوفيون — فالأرجح أنها حرف جر شبيه بالزائد ، ويكون ما بعدها مبتدأ كما فى قول جميل .

ألا قد أرى والله أن رب عبرة
إذا الدار شطت بيننا ستزود(١)

أو مفعولا به نحو : رب كتاب قرأت ، فوضع المجرور منصوب بالفعل أو مفعولا فيه نحو قول امرىء القيس :

---

(١) عبرة مبتدأ فى محل رفع

فيارب يوم قد لهوت لية بآنسة كأنها خط تمثال(١)

وإذ كنا نرجح رأى البصريين على رأى الكوفيين فما كان هذا إلا لما رأيناه من قوة ما استدلوا به على رأيهم وتفنيدهم لآراء الكوفيين .

— قالو فيما سمع من قول بعض العرب : رب رجل تقى برفع تقى على أنها خبر عن مبتدأ محذوف والتقدير : هو تقى «ونرى أنه تقدير مقبول ، وقد أشار المبرد إلى مثل هذا فقال : «رب رجل عالم أفضل منك فلا يكون لها الخبر لأنها حرف خفض »(٢) .

وابن السراج يردد نفس المعنى فيقول : «ولا يجوز أن تقول : رب رجل أفضل منك لا يجوز أن تجعله خبرا لرب »(٣) وقد خرج ما سمعه الكوفيون على الشذوذ فقال :

« وهو من قبيل الغلط والتشبيه بكم »(٤) .

والبيت السابق الذى استشهد به الكوفيون والأخفش على اسمية رب باعرابها مبتدأ خبر عنه .

خرج — أيضاً — على أن فى البيت رواية أخرى وهى «بعض قتل عار»(٥) ، فليس فيه رب، فلا دليل لهم لوجود هذه الرواية .

وعلى فرض أن الرواية الأولى صحيحة وهى « ورب قتل عار » إلا أنهم خرجوها على أن كلمة (عار) تحتمل فى إعرابها وجهين :

---

(١) فرب هنا دخلت على الظرف وهو (يوم) فما بعدها مفعول فيه

(٢) ٥٧/٣ (٢) الأصول ٤١٧/١

(٤) نفس المصدر السابق

(٥) وقد أنشد المازنى فى هـــذه الرواية — وهى الوجه — أنظر المقتضب ٦٦/٣

الأول : أن تفكون خبرا لمبتدأ محذوف ، أى : ورب قتل هو عار ، والجملة صفة للمجرور برب(١) .

والثانى : أن تكون خبرا عن مجرور (رب) إذ هو موضع رفع بالابتداء وحرف الجر الداخل فى حكم الزائد .

ولنا أيضا — ان نقوى رأى من قال بحرفيتها (وهم البصريون) لما يأتى:

١ — إن النحويين جميعا قالوا ببنائها ، وبناؤها دليل على حرفيتها فهى ملازمه للبناء شأنها فى ذلك شأن حروف الجر وقد صرح بهذا الحسن ابن قاسم المرادى فقال : « ومما يدل على حرفيتها أنها مبنية ولو كانت اسما لكان حقها أن تعرب(٢) وأنظر — ايضا — شرح المفصل لابن يعيش ٨/٢٦

٢ — إنها لو كانت اسما — كما زعم الكوفيون والأخفش — لكان حقها ان تعرب ولم يقل به احد من النحاة ، حتى ان الكوفيين الذين قالوا باسميتها لم يقولوا باعرابها ، وإنما حكموا على موضعها بالاعراب — قال المرادى مشيرا إلى هذا :

« وذهب الكوفيون والأخفش — فى أحد قوليه — إلى إنها اسم يحكم على موضعه بالاعراب »(٣)

وهكذا انقسم النحويون إلى فريقين — حول حقيقة هذه الكلمة — وكل منهما له راى يخالف ما عليه الآخر وإن كنا نرجح راى الفريق الأول .

---

(١) الأصول لابن السراج ١/٤١٦

(٢) الجنى الدانى ٤٣٩ (٣) نفس المصدر السابق

النحاة حول معناها :

قيل فى معناها :

١ — أنها تفيد التقليل ، وهو مذهب أكثر النحويين ، وعـــزاه ابن السراج إلى الـكوفيين .

جاء فى الأصول ١/٤٧ : «وأما الـكوفيون ومن ذهب مذهبهم فيقولون رب وضعت على التقليل نحو : ما أقل من يقول ذلك :

وبعض العلماء نسب هذا الرأى لسيبويه قال المرادى : « أنها للتقليل، وهو مذهب أكثر النحويين ونسبه صاحب البسيط(١) إلى سيبويه(٢) « إلا أن سيبوية لم ينص صراحة فى كتابه على أنها تفيد التقليل أو التـكثير ، وإنما ذكر أن (كم) فى الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه (رب) لأن المعنى واحد، وهذا يحتمل تفسيرات كثيرة . ربما يكون أخذ هذه التفسيرات أنها تفيد التـكثير — جاء فى سيبويه « واعلم أن (كم) فى الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه (رب) لأن المعنى واحد . وأما أبو العباس المبرد فقد صرح بإفادتها معنى التقليل فقال :

« رب معناه الشىء يقع قليلا(٤) » أى أنها تنبىء عما لو قعت عليه أنه قد كان

---

(١) البسيط كتاب فى النحو « فى شرح الـكافية ، ألفه ركن الدين حسن ابن محمد الاستراباذى الحسنى وله ثلاثة شروح على الـكافية أكبرها يسمى البسيط وتوفى سنة ٧١٥ هـ نقلا من بغية الوعاة للسيوطى ١/٣٣١

(٢) الجنى الدانى ٤٣٩

(٣) الـكتاب لسيبويه ٢/١٦١ تحقيق هارون .

(٤) المقتضب ٤/٣١٩

وليس بكثير ، ويأتى ابن يعيش ليردد نفس المعنى فيقول «رب حرف من حروف الخفض معناه تقليل الشيء يدخل عليه وهو نقيض (كم) فى الخبر لأن كم الخبرية للتكثير ، ورب للتقليل »(١) ،

وقال الرضى : « ووضع رب للتقليل »(٢) وينص الشاطبى — أيضا — على هذا المعنى فيقول : « وأيضا فإن كم للتكثير ، ورب للتقليل فحملوها على ضدها ، إذ كان من كلامهم حمل الشيء على ضده »(٣) .

وقد صرح الفارسى بهذا فقال : « وأما رب فهى للتقليل نظير كم فى التكثير »(٤) .

فما جاءت فيه للتقليل قول الشاعر :

ألا رب مولود وليس له أب وذى ولد لم يلده أبوان

٢ — أنها تفيد معنى التكثير ، وهذا المعنى يحتمله — أيضا — قول سيبويه السابق حين شبه (كم) الخبرية (برب) وجعل معناها كمعناها .

وقد فسر ابن مالك كلام سيبويه على أنها تفيد معنى التكثير وقد نص على هذا فى التسهيل ص١٤٨ : فقال : « بل هى حرف تكثير وفاقا لسيبويه والتقليل بها نادر ، كما قال أيضا — « وهذا نصه ولا معارض له فى كتابه »(٥) .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٨: ٢٧

(٢) شرح الكافية ٢/٣٣١

(٣) شرح الشاطبى على الألفية ٥/١٩٢ بتحقيقنا .

(٤) الإيضاح ص ٢٥٠ (باب الأسماء المجرورة بعد الحروف) .

(٥) ذكر هذا أبو القاسم المرادى وانظره فى الجنى الدانى ص ٤٤٦

حتى أن ابن مالك جزم بهذا المعنى — كما جاء فى التسهيل ١٤٨ والهمع ٢/٢٥.

واستدل على إفادتها هـــذا المعنى بقول الله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين »(١) على أن تمنى الكفار للإسلام يكثر منهم يوم القيامة وكذا بقول الرسول ﷺ : « يا رب كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة »(٢).

وقول بعض العرب عند انقضاء رمضان (يارب صائمه لن يصومه ، وقائمه لن يقومه »(٣).

ويصرح بأن الآية والحديث مسوقان للتكثير بقوله : « فليس المراد من ذلك التقليل بل المراد أن الصنف المتصف بهذا من النساء كثير»(٤) ، كما يرى أن الآية والحديث مسوقان للتخويف ولا يناسب معهما التقليل .

ومن شواهده على إفادتها معنى التكثير قول الشاعر :

فيا رب يوم قد لهوت وليلة بأنعم كأنها خط تمثـــال

---

(١) آية رقم ٢ من سورة الحجر .

(٢) قوله يا رب كاسية أى مكتسية ، يقال كسي بالكسر يكسى بفتحها (السين) فهو كأس والياء للتنبيه أو للنداء ، والمنادى محذوف ، وفى الدنيا ظرف لغو متعلق بكاسية ، وعارية خبر المبتدأ الذى هو كاسية . هذا هو الظاهر ، وجوز البعض فى عارية الجر صفة لكاسية على اللفظ ، والرفع صفة لها على المحل ، والنصب على الحال المنتظرة من الضمير فى كاسية والخبر على الثلاثة محذوف ، أى ثابتة .

(٣) استدل به الكسائى على أعمال إسم الفاعل ماضيا إذ لو لم يكن عاملا النصب فى ضمير رمضان لكانت إضافته إليه مخصصة لأنها إضافة وصف إلى غير معموله .

(٤) شواهد التوضيح ١٠٤

وقول الآخر :

ربما أوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالا(١)

ووجه الاستشهاد بهما — كما قال ابن مالك — إن البيتين مسوقان للافتخار والمناسب لهما التكثير وذكر أن إفادتها التقليل نادر فى قول الشاعر :

ألا رب مولود وليس له أب وذى ولد لم يلده أبوان

وظاهر الأمر أنه أخذ معنى التكثير من نص سيبويه السابق حين قال: « اعلم أن كم فى الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه رب لأن المعنى واحد — فجعل معنى رب هو معنى كم الخبرية فى إفادتها معنى الكثرة .

على أن لبعض النحاة مواقفا من رأى ابن مالك — هذا — فقد حمل عليه أبو على الشلوبين والمرادى حملة شعواء فيما ذهب إليه .

فعن البيتين اللذين استند إليهما ابن مالك على إفادتها معنى الكثرة — أجاب عنهما الشلوبين ، كما نص المرادى: « على ذلك بما معناه أن مجرور رب فى تلك المواضع نسبتين مختلفتين ، نسبة كثرة إلى المفتخر ، ونسبة قلة إلى غيره ، فتارة يأتى بلفظ (كم) على نسبة الكثرة وتارة يأتى بلفظ رب على القلة »(٢) .

ثم يقول المرادى على لسان الشلوبين : « قال الشلوبين : فكيف يتوهم أنه أراد بقوله : أن معنى كم كمعنى رب(٣) — أنهما فى الكثرة، وهو يستعملها فى كلامه بضد ذلك »(٤) .

---

(١) أوفيت أى نزلت والعلم الجبل وفى معنى على .

(٢) الجنى الدانى ٤٤٦

(٣) نفس المصدر السابق ٤٤٧

(٤) نفس المصدر السابق ٤٤٧

ويطالبه المرادى بالتريث — وعدم الإسراع فى تخطئة من يقول بأنها معنى التقليل وبأن يتهم رأيه(١) ويعلم أن لهم غرضا ينبغى أن نبحث عنه .

تفسير الشلوبين لكلام سيبويه :

هذا : وقد فسر أبو على الشلوبين كلام سيبوية السابق بقوله : « إنما قال : إن معنى (كم) كمعنى (رب) لأنها تشارك (رب) فى أنها تقع صدراً، وأنهما لا تدخلان إلا على النكرة والإسم المنكور بعدهما يدل على أكثر من واحد »(٢) وإن كان الإسم الواقع بعد كم يدل على كثير ، والإسم الواقع بعد رب يدل على قليل .

ويستند فى هذا إلى شراح الكتاب فيقول : « وكل من شرح كتاب سيبوية لم يقل أحد منهم إن سيبوية أراد بهذا الكلام أن رب للتكثير »(٣). وذكر المرادى من الشواهد المفيدة لمعنى القلة ما يرد بها على ابن مالك — فانظرها فى الجنى الدانى ٤٥١ وابن هشام فى المغنى ١٣٦

وإذا كان ابن مالك قد أفاد بأن معناها التكثير إسنناداً ، إلى كلام سيبويه وبعض الشواهد التى ظاهرها يفيد هذا فإن المرادى قد رد عليه أيضا بأن هذه الشواهد وقعت تحت أعين من يقول بالتقليل فقال : « لسنا نشك فى أن القائلين بأن (رب) للتقليل قد وقعوا على هذه الشواهد التى التكثير فيها ظاهر لأنها كثيرة جداً ، الجنى الدانى ص ٤٥٢

كما يطالب المرادى ابن مالك أن يعلم من يقول بأنها تفيد معنى التقليل

---

(١) نفس المصدر السابق ٤٤٣
(٢) نفس المصدر السابق ٤٤٧
(٣) نفس المصدر السابق .

له فى ذلك غرض يدعوه إلى البحث عنه ، ويذكر له أن لهذه الأغراض ثلاثة أوجه :

(ا) أن رب فى ذلك لتقليل النظير ، فالمفتخر يزعم أن الشىء الذى يكثر وجوده منه يقل من غيره وذلك أبلغ فى الافتخار .

(ب) أن القائل قد يقول : «رب عالم لقيت» والواقع أنه لقى كثيراً من العلماء ، ولكنه يقلل من لقيه تواضعا .

(ج) أن الرجل يقول لصاحبه « لاتعادى فربما ندمت » ، وهذا موضع ينبغى أن تكثر فيه الندامة ولكن المراد أن الندامة لو كانت قليلة لوجب أن يتجنب مايؤدى إليها ، فكيف وهى كثيرة فصار لفظ التقليل هنا أبلغ من التصريح بلفظ التكثير .

٣ — وقيل فى معناها أنها تكون للتقليل غالبا ، والتكثير بها نادراً ، واختاره السيوطى وذكره فى الهمع ٢/٢٥

٤ — وقد ذكر بعض النحويين أنها من الكلمات التى تؤدى المعنى وضده ، فتأتى للتقليل والتكثير .

ذكر هذا أبو على الفارسى — ونقله أبو حيان عن بعض المتأخرين ، إلا أن إفادتها معنى التقليل يكون قليلا والتكثير بها كثيراً وأورده ابن هشام فى المغنى فقال « بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلا» المغنى ٢/١٣٦

٥ — وقيل أنها حرف إثبات لا يدل على القلة أو الكثرة ، بل ذلك مستفاد من السياق .

هذا وقد امتلأت بطون الكتب النحوية بمعان كثيرة لهذه الكلمة ، فانظرها فى الجنى الدانى ص٤٥٠ ، والهمع ٢/٢٥ ، وابن يعيش فى شرح المفصل ٨/٣٨ والمغنى ص١٣٦

من خلال عرض هذه الآراء حول معنى الكلمة نرى أن النحويين لم تتفق كلمتهم حول معناها بل تعددت الآراء ، وتنوعت الأفكار ، واختلفت المذاهب وبقى علينا أن نتساءل . أى هذه الآراء أولى بالقبول ؟

على ضوء ما ذكرنا يمكن القول بأن من قال بأنها تفيد التقليل — هو أولى الآراء بالقبول وأنها ليست ككم الخبرية فى إفادتها معنى التكثير — وما كان ذلك إلا لاعتبارات مختلفة منها :

أولا : قد توجـــد فى مواضع لا تحمل فيه إلا على القلة ، ولا يعرف التكثير إليها سبيلا ، ومن ذلك قول الشاعر :

ألا رب مولود وليس له أب وذى ولد لم يلده أبوان

فأى تكثير يمكن أن يحمله هذا البيت ؟

ثانيا : أن ظاهرها قد يؤدى معنى الكثرة — فى بعض المواضع — إلا أنها فى واقع الأمر تحمل على إرادة التقليل نضرب من التأويل ، فيتعين فيها أن تكون حرف تقليل ، ولأن هذا هو المطرد والشائع فيها — ولعل هذا يبدو واضحا فى أشعار الألغاز ، والوصف والمديح نحو : « ربه جـــلا إذا مدح » .

وهذا تقليل محض لا شك فيه ولا يتوهم وذلك أن الرجل إنما يمدح بقلة النظير والمماثل لا بكثرته ، والمراد من قولهم : ربه رجلا ، أنه قليل غريب فى الرجال ، ووجه ذلك كما ذكر الرضى : « أن المادح يستقل الشىء من المدائح لأن الكثير منها كأنه قليل أو بالنسبة إلى الممدوح بها ، وذلك أبلغ[1] .

---

(١) شرح الكافية للرضى ٢ /٣٣١

علام تدخل هذه الكلمة :

تستعمل هذه الكلمة كما قال النحاة على ثلاثة أوجه .

الأول : أكثر النحويين على أنها لا تدخل إلا على الاسم الظاهر النكرة، وقد صرح سيبويه بهذا فقال « فرب لا يقع بعدها إلا النكرة(١)».

وقال المبرد : « فرب تدخل على كل نكرة لأنها لا تخص شيئا فإنما معناه أن الشيء يقع ولكنه قليل (٢)

ونفس هذا المعنى ردده الأشمونى إذ يقول : « وأخصص برب منكرا نحو : « رب رجل » ولا يجوز رب الرجل »(٣) .

وقد نص سيبويه على أن مجرورها إذا أضيف إلى معرفة لا يكتسب منه التعريف .

واستشهد على ذلك بقول الشاعر .

يارب غابطنا لو كان يعرفكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا (٤)

---

(١) الكتاب ١/٤٢٧ ، ٢/١٠٨

(٢) المقتصب ٤/٢٩٨

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢/٢١٧

(٤) البيت لجرير — يقول لصاحبته : رب من يغبطنا أى يتمنى مثل مالنا منك فيما يزعمه ويظنه لو عرف الحق وحاول الوصل ، لقى منك المباعدة والحرمان كما لقينا نحن منك وقد أستشهد به سيبويه فى ١/٤٢٧ على جر (غابطنا) برب وهى لا تجر إلا النكرات فهو دليل على أنها لم تكتسب تعريفا . وأنظره فى ديوانه ٥/٥ ، شواهد ٣/٣٦٤ ، وشرح ابن يعيش للمفصل ٣/٥١ والهمع ٢/٤٧ ، والمقتضب ٤/١٥٠

وقول أبو محجن الثقفى .

يارب مثلك فى النساء غريرة بيضاء قد متعتها بطلاق(١)

ثم يقول : « فرب لا يقع بعدها إلا نكرة ، فذلك يدلك على أن (غابطنا) و (مثلك) نكرة »(٢) .

وقال أبو على الفارسى : « وإذا تعرف الأسم لم يدخل عليه رب لأنها لاتعمل إلا فى أسم شائع غير مختص لوقوع المنكور بعدها دالا على أكثر من واحد ، وتعمل فى هذا الأسم وفى صفته الجر » (٣) .

ولعل النحويين قد التمسوا لذلك علة مقادها أن التكثير المستفاد منها لا يكون فى المعرفة فلا يستفاد من التعريف المعنى المراد مبها ، ولذلك ألزموها النكرة .

جاء فى شرح الكافية للرضى ٢/٣٣١ : « وإنما وجب دخولها على النكرة محتملة للقلة والكثرة نحو جائنى رجل ، وما جائنى من رجل ، فلو لم تحتملهما لم تستعمل فيهما ، والمعرفة إما دالة على القلة فقط كالمفرد والمثنى المعرفين ، وإما دالة على الكثرة دون القلة كالجمع المعرف ، ورب ككم علامتان للقلة والكثرة ، إنما يحتاج إلى العلامة فى المحتمل يصير بها نصا .

---

(١) أنشده سيبويه فى ١/٤٢٧ ، وأنشده ابن يعيش فى ٢/١٦٢ والغريرة الشابة الحديثة التى لم تجرب الأمور ولم تكن تعلم مايعلم النساء من الحب ، ومتعتها بطلاق أى عند طلاقها والمتعة ما وصلت المرأة به بعد الطلا من ثوب أو خادم ، واستشهد سيبويه على أن (مثل لم تكتسب تعريف من إضافتها لمعرفة لكونها مجرور رب ،

(٢) سيبويه ١/٤٢٧

(٣) المسائل المشكلة ص ٢٨٨

وللنحويين علة أخرى هى أنه لما كانت (كم) الخبرية تفيد معنى الكثرة (ورب) تفيد معنى القلة فقد حملها النحويون على كم قياساً فى دخولها على النكرة (علة تضاد) وقد فسرها سيبويه بذلك فقال: «واعلم أن كم فى الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه رب لأن المعنى واحد» كما نص على هذا أيضا — ابن السراج فى الأصول ١ / ٤١٦ والرمانى فى حروف المعانى ١٤٤/١ والفارسى فى المسائل المشكلة ٢٨٨ والرضى فى شرح على الكافية ٣٣١/٢

الثانى: أن تدخل على الضمير المفسر بعده بنكره منصوبة على التمييز(١) فإذا أدخلوها على الضمير نصبوا الاسم الذى يذكرونه للتفسير بعد الضمير، قال سيبويه: «ولا يجوز لك أن تقول: نعم ولا ربه وتسكت، لأنهم إنما بدأوا بالأضمار على شريطة التفسير، وإنما هو إضمار مقدم قبل الاسم، والأضمار الذى يجوز عليه السكوت نحو: زيد ضربت، إنما أضمر بعد ماذكر الاسم مظهرا، فالذى تقدم من الأضمار لازم له التفسير حتى يبينه ولا يكون فى موضع هذا الباب مظهرا» (٢).

وقال بن مالك «وقد تجر ضميرا لازما تفسيره بمتأخر منصوب على التمييز مطابقا للمعنى» (٣)

وقال الجامى: «وقد تدخل أى (رب) على مضمر مبهم لا مرجع له مميز بنكر منصوبة على التمييز (٤).

---

(١) ويجب ذكره قال سيبويه: وذلك لأنهم بدأوا بالأضمار لأنهم شرطوا التفسير وذلك نووا فجرى ذلك فى كلامهم هكذا ١٧٥/٢

(٢) سيبويه ١٧٦/٢

(٣) التسهيل ١٤٨

(٤) شرح الكافية للجامى ٣٢٧/٢

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

ربه فتيـة دعوت إلى ما يورث المجد دائبا فأجابوا (١)

وقول آخر :

وأه رأيت وشيظا صدع أعظمه وبه عطبا أنفذت من عطب (٢)

وتقول : ربه رجلا (٣) وربه شابا نبيلا

ويرى علماء البصرة أن هذا الضمير يجب أن يكون مفرداً غائبا مذكرا فى جميع أحواله يعود على التمييز الواجب التأخير — جاء فى شرح الكافية للرضى ٢/٣١٥ : « وأما الضمير فى ربه رجلا فالبصريون يلزمون أفراده وقال الجامى « والضمير مفرد وإن كان المميز مثنى أو مجموعا » (٤).

---

(١) الشاهد فى ربه فتية حيث جاء الضمير فيه مفردا وقد ميز بنكرة منصوبة على التمييز وأنظره فى الأشمونى ٢/٢٠٨ والتصريح ٢/٤

(٢) أى رب واه من وهى الحائط إذا هم بالسقوط ، ورأيت بمعنى أصلحت ، ومادته راء وهمزة وباء موحدة ، وقد صحفه كثير منهم من الرؤيا البصرية ، وصدع أعظمه كلام إضافى مفعوله والشاهد فى وربه عطباً حيث دخلت رب على الضمير ، وهو مجهول عند البصريين فلا يعود على ظاهر ، وعطباً تمييز ويروى عطب بالجر على نية من وهو شاذ ، والعطب الأول صفة مشبهة والثانى مصدر ، أنظروا فى حاشية الصبان على الأشمونى ٣/٢٠٨ والتصريح ٢/٤ وشرح ابن الناظم ٣٥٨

(٣) الجامى : « هذا الضمير عائد على مبهم فى الذهن قبل ذكره مؤخرا تمييزا فلا ينافى عندهم هذا الضمير مما يعود على متأخر لفظا ورتبة . — وانظر الأشمونى ٢/٢٠٧

(٤) شر الكافية ٢/٣٢٨

الضمير هنا كالضمير فى باب نعم وبئس ، إذ قلنا : نعم رجلا المهذب إلا أن الضمير فى باب (نعم وبئس) مرفوع على الفاعلية ، وهو مع رب فى موضع جر .

وقد نص على هذا أيضا ابن السراج فقال : « وهذه الهاء على لفظ واحد وإن وليها المذكر أو المؤنث أو الإثنان أو الجماعة موحدة على كل حال » (١) .

ونفس المعنى ردده أبو القاسم المرادى فى الجنى الدانى ص ٤٤٩ ، وابن مالك فى شرح التسهيل ص ١٤٨ وابن الناظم فى شرحه على الألفية ٣٥٨ ، ويكشف لنا — الرضى — الغطاء عن علة ذلك فيقول : « إن الضمير المفرد المذكر أشد إبهاما من غيره لأنك لا تستفيد منه إذا لم يتقدمه مايعود عليه إلا معنى شىء ، وشىء يصلح للمثنى والمذكر والمؤنث ولو ثنيته أو جمعته وأنثته لتخصص بسبب إفادة معنى التثنية والجمع والتأنيث والقصد بهذا الضمير الإبهام ، فما كان أوغل فيه كان أولى (٢) والبصريون حين تعرضوا لمثل هذه المسألة ، وجدوا أنه يمكن الاستغناء عن ثنية هذا الضمير ، وجمعه أو تأنيثه وتأنيث تمييزه (٣) نص على هذا ابن السراج فى « ٣١٩ ، وابن الناظم ٣٥٨

هذا ، وقد حكى المرادى — كما نقله الأشمونى — عن الكوفيين أنهم أجازوا تأنيث هذا الضمير وتثنيته وجمعه ليطابق تمييزه — إستنادا إلى السماع عن العرب أجازوا : ربه رجلا ، وربهما رجلين ، وربهم رجالا ، وربه امرأة ، وربهما امرأتين ، وربهن نساء .

---

(١) الأصول ١/٤١٨ وانظر التصريح ٢/٤ والتسهيل ١٤٨

(٢) شرح الكافية للرضى ٢/٣١٥ رضى ٢/٣١٥

(٣) وإن كان الجزولى يرى لزوم إفراد هذا التمييز .

فقال : « إن الكوفيين حكوا هذه المطابقة نقلا عن العرب : وقال ابن عصفور : أنهم أجازوا ذلك قياسا قال المرادى — وليس كما قال » (١) وقد نص الجامى على هذا — أيضا فانظره فى شرحه على الكافية ٣٢٨/٢ والتصريح ٤/٢

ما موقف النحاة من هذا الضمير ؟

من النحاة من يرى أن هذا الضمير ، وان كان معرفة إلا أنه جرى مجرى النكرة حين دخلب عليه (رب) قال المرادى : « فذهب كثير منهم الفارسى إلى أنه معرفة (٢) ، ولكنه جرى مجرى النكرة فى دخول (رب) عليه لما أشبهها فى أنه غير معين(٣) » ونص على هذا أيضا الأشمونى فقال : « وقال جماعة كالفارسى معرفة جار مجرى النكرة » (٤) .

ويرى بعض النحاة كالزمخشرى وابن عصفور أن هذا الضمير نكرة قال ابن يعيش : « وقد أطلق عليه صاحب هذا الكتاب التنكير (٥) وقال المرادى : « وذهب قوم إلى أنه نكرة،وبه قال الزمخشرى وابن عصفور(٦) » وفى التصريح ٤/٢ : « واختلف فى الضمير المجرور برب فقيل معرفةوإليه

---

(١) الجنى الدانى ص ٤٤٩ ، ٤٥٠

(٢) من حيث كان مضمرا ، والمضمرات لا تنفك من التعريف ، ولذلك لا يوصف كما لا توصف سائر المضمرات .

(٣) الجنى الدانى ٤٥٠

(٤) ذكر هذا الأشمونى ٤١٧/٢

(٥) شرح المفصل لابن يعيش ٢٦/٨ — والمقصود بصاحب الكتاب الزمخشرى صاحب المفصل .

(٦) الجنى الدانى ٤٥٠

ذهب الفارسى وكثير والنحويين وقيـــل نكرة واختاره الزمخشرى وابن عصفور ، وذلك باعتبار أنه عائد على واجب التنكير ، وقد جعل ابن مالك دخول رب على الضمير نادرا فقال:

ومازووا من نحو ربه فتى تزر كذا كها ونحوه أتى

الثالث : إتصالها بما :

توصل بها (مـا) وتكون على وجهـين الأول : كافة لها عن العمل ، فلا تعمل الجر فى مدخولها ، وتهيىء للدخول على الجملة الفعلية ، ويكون ما بعدها مستأنفا تقول مثلا :

ربما محمود يسافر ، وربما يسافر محمود ، وربما قام ، وربما سافر .

قال تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » (١) .

وأما دخولها كافة فلأنها من عوامل الأسماء ، ومعناها يصح فى الفعل وفى الجملة فإذا دخلت عليها (مـا) كفت عن العمل كما تكف (إن) فى قولك (إنما) ثم يذكر بعدها الفعل ، والجملة من المبتدأ والخبر نحو قولك إنما ذهب محمد ، وإنما محمد ذاهب ، فكذلك (رب) إذا كفت (بمـا) عن العمل صارت كحرف الابتداء يقع بعدها الجملة من الفعل والفاعل والمبتدأ والخـبر .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى لا يليها بعدها إلا الفعل) « ومن تلك الحروف ربما وقلما وأشباهما جعلوا (رب) مع (مـا) بمنزلة كلمة واحدة وهيئوها ليذكر بعدها الفعل ، لأنهم لم يكن لهم سبيل إلى رب

(١) الحجر أية رقم ٢

يقول ، ولا إلى قل يقول فألحقوهما (ما) وأخلصوهما للفعل (١) فرب المكفوفة لا تدخل إلا على الجملة الفعلية كما قال سيبويه.

وذلك كقول الشاعر :

ربما أفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات(٢)

فكف رب عن الجر وأدخلها على الجملة الفعلية وهى أوفيت أى نزلت. قال سيبويه :

«ولا يقع أى الفعل — بعد هذه الحروف إلا وما لازمة له » ٣/٥١٨ ودخولها على الماضى كثيرا أشار إلى هذا ابن السراج فقال : ولما كانت رب إنما تأتى لما مضى فكذلك ربما لما وقع بعدها الفعل كان حقه أن يكون ماضيا (٣)

---

(١) الكتاب ٣/١١٥ وأنظر الجنى الدانى للمرادى ص ٤٥٦ وجاء فيه « أن مذهب المبرد ومن وافقه أن (رب) إذا كفت (بما) جاز أن يليها الجملتان الأسمية والفعلية ، وذهب سيبويه فيما نقل بعضهم عنه إلى أن (رب) إذا كفت بما لا يليها إلا الجمله الفعلية قيل : وهو مذهب الجمهور » وأنظر شرح الكافية للحامى ٢/٣٢٨

(٢) أنظـــر سيبويه ٣/ والمقتضب ٣/١٥ وابن الشجرى ٢/٢٤٣ ، وابن يعيش ٩/٤٠ والتصريح ٢/٢٢ ، وأعلم الجبل : والشمالات جمع شمال بالفتح وهى الريح التى تهب من هذه الناحية يفخر بأنه يحفظ أصحابه فى وأس الجبل إذا خافوا من العدو فيكون طليعة لهم .

(٣) الأصول ١/٤١٧

كما نص على هـذا صاحب التصريح إذ يقول : « والغالب على رب المكفوفة أن تدخل على فعل ماض »(١) وأنظر ما نقله الأشمونى فى ٢/٢٣١

وقال الرضى : « والتزم ابن السراج وأبو على فى الإيضاح كون الفعل ماضيا »(٢) ولا يليها المضارع الصريح ، وهو الذى يكون لفظه مضارعا وزمنه مستقلا خالصا . فإذا وقع بعدها فثم إضمار نص على هذا ابن السراج فقال « فإذا رأيت المضارع بعدها فثم إضمار كان (٣)

وأما نحو قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

فالعذر عندهما (٤) أن مثل هـذا المستقبل — من الأمور الأخروية ففيها غرض بلاغى وهـو تحقق الوقوع نص على هـذا صاحب التصريح فقال : « وقد تدخل على مضارع منزل منزلة ماضى لتحقق وقوعه(٥) .

ويقول أبو البقاء العكبرى — عند إعراب هذه الآية « وأكثر ما يأتى بعدها الفعل الماضى ، ولكن المستقبل هنا لكونه صدقا قطعا بمنزلة الماضى (٦) .

---

(١) التصريح ٢/٢٢
(٢) شرح الكافية ٢/٣٣٣
(٣) الأصول ١/٤١٧
(٤) عند ابن السراج وأبى على الفارسى
(٥) التصريح ٢/٢٢ ونقله الأشمونى فى ٢/٢٣١
(٦) إملاء مامن به الرحمن ٢/٨٢

ويقول الربعى : « ربما كان يود فحذفت كان لكثره استعمالها بعد ربما (١) .

ونرى جواز دخولها على المضارع بلا تأويل وذلك كقول الشاعر :

ربما تكرة النفوس من الأمر ما
له فرجـــة كحل العقال (١)

ولا تدخل على الجملة الاسمية - عند سيبويه - إلا نادرا كقول الشاعر :

ربما الجامل المؤبل وعنا جيح يفهم المهار (٣)

وقد خرجه سيبويه على الشذوذ . لدخولها على الجملة الاسمية فأن الجامل مبتدأ والمؤبل نعمته فيهم خبره .

وفى التصريح ١/٢٢ : « ودخول (رب) المكفوفة بما على الجملة الاسميه نادر جداً » .

حتى قال أبو على الفارسى يجب أن تقدر (ما) أسما نكرة مجرورا برب بمعنى شيء ويقدر الجامل خبرا لضمير محذوف والجملة صفة لما وفيهم متعلق بحال محذوفه أى رب شيء هو الجامل المؤبل فيهم .

---

(١) شرح الكافية للرضى ٢/٣٣٣

(٢) فما فى البيت نكرة موصوفة عند النحاة لا كافة كما هو معروف فى باب الموصولات . ص ٢/٣٣٣

(٣) البيت لأبى دؤاد الأيادى ، والجامل الجماعه من الأبل مع رعتها والمؤبل الذى هو للقنية ، والعنجيج جمع عنجوج وهو الفرس الطويل وهو من جياد الخيل والمهار جمع مهر ، والشاهد فى ربما حيث دخلت على (رب) ما الكافه فكفتها عن العمل ، ودخلت على الجملة الإسمية وهو نادر ، وقد استشهد به بعض النحويين على جواز أن تجر المعرفه . وانظره فى الجنى الدانى ٤٤٦ والأشمونى ٢/٢٣٠ والمغنى ١٤٦ وشرح المفصل ٨/٢٩ والهمع ٢/٢٦

وإنما قدر الفارسى ضميرا محذوفا ولم يجعل الجملة على حالها صفة لما ليحصل الربط بين الصفة والموصوف ويعلل النحاة لدخولها على الماضى كثيراً لأن معناها التكثير أو التقليل ولا يمكن الحكم على أحدهما إلا على شىء قد عرف .

والثانى : أن تكون (ما) ملغاة وتكون مؤكدة وتجر ما بعدها وعليه جاء قول الشاعر :

ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء.(١)

هذا ، وقد أجاز النحاة حذف الفعل بعد (ربما) عند القرينة قال الشاعر :

فذلك أن يلق المنية يلقها وإن يستغن يوما فأجدر(٢)

هل يوصف مجرورها الظاهر :

فريق من النحاة — كالمبرد — وابن السراج ، والفارسى والرضى — يرى وجوب وصف مجرورها الظاهر — قال ابن السراج « واعلم أنه لابد للنكرة التى تعمل فيها رب من صفة إما اسم وإما فعل ولا يجوز أن

---

(١) قائله هدبة بن الرعناء الفسانى وانظره فى شرح الرضى ٢/٣٣٢ وشرح الجامى للكافية ٢/٣٢٨ والجنى الدانى ٤٥٦ والمغنى ١/١٣٧ والأشمونى ٢/٢٣١ والتصريح ٢/٢١ وبصرى بلده فى الشام كان يقام فيها سوق فى الجاهلية واستشهد به النحاة على دخول (ما) على (رب) (وربما ضربه) ولم تكفها عن العمل .

(٢) أى ربما يتوقع ذلك وانظره فى شرح الكافية للرضى ٢/٣٣٢

تقول : رب رجل وتسكت حتى تقول : رب رجل صالح أو تقول : « رجل يفهم ذلك »(١) وأوجبه الرضى فقال : « والأولى الوجوب »(٢) ولعله بنى هذا الوجوب على أن النكرة الموصوفة أبلغ فى التقليل من التى هى غير موصوفة ، فإن رجلا كريما أقل فى الوجود عن رجل وحده . وعلى هذا لزمت الصفة مجرورها(٣) .

وعلة أخرى لوجوب وصف مجرورها الظاهر — مفادها أنه لما كثر حذف عاملها ألزموها الصفة لتكون كالعوض من حذف العامل(٤) وفريق آخر من النحاة يرى أنه لا يلزم وصف مجرورها الظاهر وهو ظاهر مذهب سيبويه والأخفش والفراء وابن مالك الذى قد صرح بهذا فقال: « ولا يلزم وصف مجرورها الظاهر »(٥) ونقل عنه المرادى قوله : وهو ثابت بالنقل الصحيح فى الكلام الفصيح .

وأنشد أبياتا منها :

يارب قائله غـدا يالهف أم معاوية(٦)

---

(١) الأصول ١/٤١٨

(٢) شرح الكافية ٢/٣٣٢ ولأن (رب) عنده مبتدأ لآخر له ولإفادة صفة مجرورة معنى الجملة .

(٣) يقول الجامى : « وإذا وصف الشىء حتى صار أخص وأقل مما لم يوصف » شرح الكافية ٢/٣٢٦

(٤) نقلا من شرح المفصل لابن يعيش ٨/٢٨

(٥) التسهيل ١٤٨

(٦) قائلته هند بنت عتبة وانظره فى المغنى والمرادى ص ٤٥١ والهمع ٣/٣٨ والدور اللوامع ٢/٢٢

وخرجه النحاة على أنه يجوز لقائل أن يقول : الموصوف فى هذا البيت محذوف تقديره : يارب امرأة قائله ، وكذا فى جميع الأبيات التى استشهد بها لأن جميعها صفات(١) واشتراط كونها موصوفة إنما هو على المذهب الصحيح لأن لزوم الصفة كما قال النحاة أبلغ فى باب التقليل ، لأنك حين تقول : رجلا قائما أقل من رجل وحده .

أما إذا كان مجرورها مضمراً فإنه لا يوصف قال سيبويه : « وإنما قبح هذا المضمر أن يوصف لأنه مبدوء به قبل الذى يفسره والمضمر المقدم قبل ما يفسره لا يوصف لأنه ينبغى لهم أن يبينوا لهم ماهو » الكتاب ١٧٨/٢ .

من خصائص رب :

سبق أن رجحنا حرفية هذه الكلمة على إسميتها وقلنا : إنها حرف جر شبيه بالزائد ، شأنها شأن هذه الحروف ، وقد اختصت هذه الكلمة من بين أخواتها بخصائص تميزها عن غيرها من الحروف منها :

أولا : أنها لا تتعلق إلا بالفعل الماضى — عند أكثر النحاة — تقول — رب رجل صالح وجدت ولا تقول سأجد وقد نص على هذا المرادى فقال : « من خصائص رب عند أكثر النحويين أن الفعل الذى تتعلق به يجب أن يكون ماضيا »(٢) وقال ابن يعيش : « حكم رب أن الفعل العامل فيها ماضياً نحو قولك رب رجل كريم لقيت»(٣) .

---

(١) التسهيل ١٤٨

(٢) المرادى ٤٥١

(٣) ابن يعيش ١٩/٨

وإنما لزم مضى ما تتعلق به لانها جواب لفعل ماض ، وقيل لأنها للتقليل فأولوها الماضى لأنه قد تحققت قلته — نص على هذا المرادى ، وذكره ابن هشام فى المغنى .

أما تعلقها بالحال فقد أجازه ابن السراج ، ومنع أن يكون مستقبلا صرح بهذا فقال : . ولا يجوز رب رجل سيقوم وليقومن عداً إلا أن تريد رب رجل يوصف بهذا تقول : رب رجل مسىء اليوم ومحسن غداً يوصف بهذا(١) .

ونقله المرادى ونص علية أبو حيان فى الارتشاف وبعض النحويين أجاز أن يكون ما تتعلق به رب ماضيا وحالا ومستقبلا وأن كان المعنى أكثر وهو اختار ابن مالك :

فمن وقوعه مستقبلا قول الشاعر :

فان أهلك فـــرب سيكى على مهذب رخص البنان(٢)

ومن وقوعه حالا قول الشاعر

ألا رب من تفشته لك ناصح ومؤتمن بالغيب غير أمين (٣)

وأما من منع وقوع الحال أو المستقبل بعدها فقد تأول هذه الأبيات على أنها من حكاية المستقبل بالنظر إلى الماضى ، وكأنه قال فى البيت الأول قرب فتى بكى فيما مضى ، وأن كنت لم أهلك ، فكيف يكون بكاؤه إذا

---

(١) الأصول ١/٥١٨

(٢) قائلة مجدر بن مالك وأنظره فى المغنى ١٥٦ وشرح شواهده ٤٠٧ ، والبحر المحيط .

(٣) انظره سيبويه ٢/١٠٩ والهمع ١/٩٢ ، ٢/٢٨ ، والاشمونى ١/١٥٤ تشته تظن أنه يفشك وقد استشهد سيبويه على تنكير (من) لوقوعها بعد (رب) ودليله وصفها بناصح النكرة .

هلكت وقيل هو على اضمار القول ، أى أقول فيه سيبكى هذا إذا جعل سيبكى جواب (رب) وأما أن جعل صفة مجرورها والجواب محذوف ، أى لم أقض حقه فلا أشكال .

هذا وقد كان أبو عمر وبن العلاء ، والرمانى وابن طاهر يرون أنها لا تتعلق بشىء نص على هذا الرضى(١) .

ثانيا : وجوب تصـــدرها ، فلا تتعلق إلا بمتأخر قال المبرد : ولا تكون رب إلا فى أول الكلام ، ونفس المعنى ردده ابن هشام جاء فى المغنى : وتنفرد رب بوجوب تصدرها »(٢)

لم وجب تصدرها ؟

تقول : إنما وجب تصدرها فى أول الكلام ، لأنها لما كان معناها التقليل ، وكانت لا تعمل إلا فى نكرة وصارت مقابله (كم) الخبرية بجب تصدرها لشركتها (كم) الاستفهامية وقيل أيضا — أنها لما دخلت على مفرد منكور ، ويراد به أكثر من ذلك وكان معناها التقليل ، والتقليل فى الكثرة فضارعت حرف النفى إذ كان حرف النفى يليه الواحـــد المنكور ، ويراد به الجماعة فجعل صدرا كما كان حرف النفى كذلك قال المرادى : لأن التقليل كالنفى فلا يقدم عليه ما فى حيزه »(٣)

وتناول الرضى علة وجوب تصدرها فقال : « وكما أن نواسخ المبتدأ لا تدخل فى نحو : عير مأسوف على زمن — لتضمنه معنى النفى الذى له صدر الكلام — فكذلك لا تدخل على (ب) لأن القلة عندهم تجرى مجرى النفى فمن ثم كان لرب صدر الكلام(٤) .

---

(١) شرح الكافيه ٢/٣٣١ (٢) المغنى ١/١٣٦

(٣) الجنى الدانى ٤٥٣

(٣) شرح الكافيه ٢/٣٣١ كما صرح بهذا الجامى فى شرحه على الكافية ٢/٣٢٦

ثالثا : يكثر حذف عاملها عند البصريين — وقد صرح بهذا ابن السراج فقال :

« واعلم أن الفعل العامل فيها أكثر ما تستعمله العرب محذوفا »(١) وقال المرادى : « ومن خصائصها أيضا أن عاملها يكثر حذفه »(٢) .

ولا يظهر عندهم إلا فى ضرورة الشعر — جاء فى شرح المفصل : « ولا يكاد البصريون يظهرون الفعل العامل حتى أن بعضهم قال لا يجوز إظهاره إلا فى ضرورة الشعر »(٣) .

ويعلل البصريون لكثرة حذف العامل فيها : « لأنه جواب لمن قال ما لقيت رجلا عالما ، أو قدرت أنه يقول : فتقول فى جوابه : رب رجل عالم أى لقد لقيت فساغ حذف العامل إذ قد علم المحذوف من السؤال فاستغنى عن ذكره بذلك ، وحذف ها هنا كحذف الفعل العامل فى الباء من (بسم الله الرحمن الرحيم) والمراد أبدأ باسم الله فترك ذكره لدلالة الحال عليه(٤) .

هل تحذف ويبقى عملها :

من خصائص (رب) أنها قد تحذف ويبقى عملها قياسا ولا يكون ذلك فى غيرها إلا نادرا قال سيبويه « ولا يجوز أن يضمر الجار ولكنهم

---

(١) الأصول ١/٤١٧

(٢) الجنى الدانى ٤٥٣

(٣) ابن يعيش ٨/٢٩

(٤) نقلا من شرح المفصل لابن يعيش ٨ / ٢٩

لما ذكروه فى أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل فكان هذا عندهم أقوى إذا أضمرت رب ونحوها(١) .

وقال ابن مالك : ويجر برب محذوفه .

ويكون هذا بعد حروف معينه :

بعد الفاء كثيراً ، وبعد الواو أكثر ، وبعد بل أقل ، ومع التجرد أقل أما بعد الفاء ، وبل فلا خلاف عندهم أن الجر ليس بهما بل برب المقدره بعدهما لأن الفـــاء فى جواب الشرط وبل حرف عطف يعطف بهما على ما قبلها .

ومثال الجر بها بعد الفاء قول الشاعر :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتها عن ذى تمائم(٣) مغيل

وقول الآخر :

فخور قد لهوت بهن عين(٤)

ويجر بها بعد (بل) نحو قول الشاعر :

---

(١) الكتاب ١/٢٧١

(٢) التسهيل ١٤٨

(٣) التمائم : التعاويذ : وأحدتها تميمة : والمغيل بضم الميم وسكون العين المعجمه وفتح اليـاء وهو المرضع وأمه حبلى أو الذى يرضع وأمه تجامع .

(٤) والتقدير فرب حور بضم الحاء المهمله وهى الشديدة بياض العين الشديد سوادها .

بل بلد ملء الفجاج قتمه لا يشترى كتامه وجهرمه(١)

وقول الآخر :

بل بلد ذى صعد وأضباب

والتقدير : بل رب بلد ، فجر برب المحذوفة بعد بل .

أما الواو فللعطف عند سيبويه وليس بجارة ، وإنما الجر بعدها برب المحذوفة .

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى(٢)

والتقدير ورب ليل فجر برب المحذوفة بعد الواو .

وقال الشاعر :

وبلدة ليس بهـــا أنيس إلا اليعافير وإلا العيس(٣)

فجر (بلدة) برب المحذوفة بعد الواو .

وعليه جاء قول المتنبى :

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير حارمه العذاب

---

(١) استشهد به النحاة على جر (بلد) برب المحذوفه بعد بل والتقدير بل رب بلد .

(٢) قاله امرؤ القيس من قصيدته المشهورة . واستشهد به النحاة على حذف رب بعد الواو ابقاء عملها ورب ليل انظره فى حاشية الصبان على الأشمونى ٢/٢٣٣

(٣) رجز قاله جران العود ، واليعافير جمع يعفور وهو ولد الظبية وولد البقرة الوحشية والعيس : إبل بيض جمع أعيس والأنثى عيساء ، والشاهد فيه قوله « وبلدة » حيث انجر الإسم بعد واورب — وانظره فى سيبويه /١٣٣ والمقتضب ٢/٣١٩ والهمع ١/٢٢٥

أما مع التجرد — فنادر — ومن القله قول الشاعر :

رسم دار وقفت فى طلله كدت أقضى الحياة من جلله(١)

وإذا كان ابن مالك قد صرح بجواز حذفها وإبقاء عملها بعد الفاء والواو وأن الجر بها محذوفة — إلا أن أبا حيان ينص فى الارتشاف على أن الجر يكون بالفاء وبل لنيابتها مناب رب وكذلك الواو وذهب الكوفيون والمبرد إلى أن الجر بها والصحيح أن الجر برب المضمرة وهو مذهب البصريين وذلك لأنه لم يعهد الجر ببل والفاء أصلا ولا بالواو إلا فى القسم .

العطف على مجرورها :

أجاز النحويون أن يعطف على مجرور (رب) مضاف إلى ضميره نحو رب رجل وأخيه لأنه نكرة تقديرا إذ التقدير وأخ له(٢)

وشرط ذلك أن يكون العطف بالواو ، وإنما اغتفر ذلك فى المعطوف لأنها لم تباشره ، وإنما لم يجر رب أخى الرجل لأنه يغتفر فى التابع مالا يغتفر فى المتبوع .

وحكى عن الأصمعى : رب أبيه ورب أخيه على نية الانفصال وهو نادر(٣) أما رب رجل ومحمد مثلا فلا يجوز .

---

(١) قاله جميل بن معمر والتقدير رب دار وفيه الشاهد حيث جر رسم برب المضمرة ولم نبعد منها لا واو ولا فاء ولا بل وهو قليل جداً وانظره فى الأشمونى ١/٣٣٣

(٢) قال جميل بن معمر . والتقدير رب رسم دار وفيه الشاهد حيث جر رسم برب المضمرة ولم يتقدمها لا واو ولا فاء ولا وهو قليل جداً وانظر فى الأشمونى ٢٠ ٣٣

(٣) قال الأصمعى الأعرابية : ألفلان أب أو أخ فقالت : رب أبيه =

هل تلحقها تاء التأنيث :

ورد — أيضاً عن العرب ربت فألحقوها تاء التأنيث كما قالوا : ثمت قال الشاعر :

ماوى يارتيما غارة شعواء كاللذعة بالميسم

وقول الآخر :

يا صاحبتا رب إنسان

وهـــذه التاء وكما قال النحاه — تلحق رب ساكنه كما تلحق الأسماء تقول : ربت بالسكون وربت بالفتح وقياس من أسكنها أن يوقف عليها بالتاء كما يقف على ضربت وقياس من حركها أن يوقف عليها بالهاء كما يقف على كيه وذيه(١) .

اللغات فيها :

ورد عن العرب فى هذه الكلمة أكثر من لغة ذكر فيها المرادى سبع عشرة لغة وذكر فيها العكبرى ست عشرة ، وانظر ما جاء فيها فى المرادى فى الجنى الدانى ٤٤٧ وابن هشام فى المغنى ١٣٨ ، والرضى فى شرحه على الكافية ٣٢٩/٢ ، وابن يعيش فى شرحه على المفصل ٣١/٨ والأشمونى ٢٠٣/٣ والنحو الوافى للأستاذ عباس حسن ٥٢٧/٩ هذا وبالله التوفيق .

د/ أحمد محمد السعيد نافع
مدرس العلوم اللغوية فى الكلية

=ورب أخيه تريد رب أب له ورب أخ تقديراً للانفصال — همع ٢٦/٢ والجنى الدانى ٤٤٩

(١) انظر الجنى الدانى ٤٤٨ وابن يعيش ٣٢/٨

المصادر

١ — القرآن الكريم
٢ — الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى
٣ — الأصول لابن السراج
٤ — الآمالى الشجرية لابن الشجرى
٥ — الإنصاف من مسائل الخلاف لابن الإنبارى
٦ — الإيضاح للفارس
٧ — إملاء ما من به الرحمن للعكبرى
٨ — التسهيل لابن مالك
٩ — الجنى الدانى فى حروف المعانى
١٠ — المسائل المشكلة لأبى على الفارسى
١١ — المقتضب للمبرد
١٢ — سيبويه (الكتاب)
١٣ — شرح ابن الناظم للألفية
١٤ — شرح الأشمونى
١٥ — شرح التصريح على التوضيح
١٦ — شرح الكافية للجامى
١٧ — شرح الكافية للرضى
١٨ — شرح المفصل لابن يعيش
١٩ — معنى اللبيب لابن هشام
٢٠ — همع الهوامع على جمع الجوامع للسيوطى